

الاقتصاد الإسلامي

« خصائصه وموارده »

في ضوء القرآن الكريم

بقلم

محمد صالح العلي

المعيد بقسم الثقافة الإسلامية

مقدمة البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى من اتبعه ووالاه الى يوم الدين..

أما بعد:

فهذا جهد المقل وثمره العاجز عن الوصول الى الأسرار القرآنية العظيمة في جانب واحد من جوانبه الكثيرة، ألا وهو الجانب الاقتصادي .

إن الآيات التى تعرضت لبيان خصائص الاقتصاد، آيات كثيرة، ولا يستطيع هذا البحث المصغر استيفاءها . والطريقة التى سلكتها في هذا البحث هى : أننى تتبعت الآيات الواردة في هذا المجال واستنبطت الخصائص منها، فوجدت ان كل خصيصة تحتها آيات كثيرة فعمدت الى اختيار الآيات الجامعة في الموضوع فأتى بالآية ثم أبين علاقتها بالعنصر الذى وضعتها تحته وقد أبين ذلك قبل ثم استشهد بالآية وأضع اسم السورة ورقم الآية ونوعها: مكية أو مدنية وأرمز لذلك بالحرفين [ك] للمكى و [م] للمدنى فأسأل الله أن ينفع بهذا البحث إنه سميع مجيب.

الباحث

محمد بن صالح العلى

خطة البحث

اشتملت خطة البحث على الآتى:

تمهيد: ويشمل تعريف الاقتصاد ويوضح علاقة القرآن بالجانب الاقتصادى.

ثم قسمت البحث الى ثلاثة أقسام:

القسم الأول وعنوانه: خصائص الاقتصاد الإسلامى فى ضوء القرآن

القسم الثانى وعنوانه: الموارد الاقتصادية فى ضوء القرآن

القسم الثالث وعنوانه: توزيع الثروة فى ضوء القرآن

تمهيد

تعريف الاقتصاد :

لقد عرّف الاقتصاديون علم الاقتصاد بتعاريف كثيرة نورد منها هذا التعريف الذى يعرف الاقتصاد بأنه: «دراسة لنشاط الانسان فى استعماله موارده النادرة التى تصلح لاشباع حاجاته المتعددة»^(١).

وهذا تعريف الماديين. ويمكن أن نضع تعريفاً للنظام الاقتصادى الاسلامى بأنه: ذلك النظام الذى شرعه الله تعالى لبيان طرق الكسب والانفاق واستغلال الموارد المسخرة للانسان فى هذا الكون... لاييجاد المجتمع المتوازن والمتكافل.

(١) الاقتصاد فى ضوء الشريعة لمحمود محمد بابلى ص ١٨ .

«علاقة القرآن الكريم بالجانب الاقتصادى»

لقد جاء الاسلام ليضع المنهج الالهى الذى يجب أن يسير عليه البشر فى حياتهم، وهذا المنهج قد شمل جميع الجوانب التى تتطلبها حياة الانسان سواء منها الجانب الاجتماعى أو الاقتصادى أو السياسى أو الروحى ...

وإذا تميّز القرآن المكى على العموم بغرس وتثبيت العقيدة فى النفوس فإنه مع ذلك لم يهمل الجانب الاقتصادى فترى أنه فى كثير من الآيات وضع القواعد والأسس ليسير عليها المسلم فى تنظيم حياته المالية والاقتصادية .. ولعلنا نتلمس الأسباب والعلل التى جعلت القرآن المكى يتعرض لهذا الجانب:

- ١ - اتصال هذا الجانب اتصالاً وثيقاً بالعقيدة والتصور الايمانى الصحيح، فيجب أن يعتقد المسلم ويؤمن بأن المال لله وأنه مستخلف فيه، وفى الايمان بهذه الركيزة يتضح للمسلم دوره فى هذه الحياة ... بل إن تسخير ما فى السماوات وما فى الأرض للانسان من أعظم الأمور التى تربط الانسان بربه برباط الشكر والطاعة ..
 - ٢ - لقد اهتم القرآن من أول الطريق بالجانب الاقتصادى إذ لابد من بيان شرعى للمؤمنين يوضح لهم كيفية تنظيم الأمور المالية، فالمال عصب الحياة ويجب السير فى تنظيم اكتسابه وانفاقه على الخط الإلهى ..
 - ٣ - إنه فى بداية مرحلة الدعوة فى مكة كان لابد من وجود آيات للإقناع .. فجاءت الآيات التى تعدد نعم الله سبحانه وتعالى من تذليل الأرض وانزال الماء من السماء... الخ وهذا ما يسمى فى علم الاقتصاد بالموارد الاقتصادية ..
 - ٤ - على أنه فى ذلك تهيئة للمجتمع الإسلامى فى مكة لاقامة النظام الاقتصادى الكامل وذلك مع قيام الدولة الإسلامية فى المدينة...
- أما القرآن المدنى فجاء متمماً ومكملاً .. فنظم الأمور المالية بالنسبة للدولة من ناحية موارد الدولة من الغنائم والفىء والزكاة وبين مصارفها ..

«خصائص الاقتصاد الاسلامى فى ضوء القرآن»

(٨) أهمية المال:

المال زينة الحياة الدنيا ووسيلة من الوسائل التى يصل بها العبد الى رضا ربه، وليس هو غاية فى ذاته، لذلك يجب أن تسخر هذه الوسيلة فى طاعة الله .. قال تعالى:

« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا »

الكهف ٤٦ ك

وفى الآية تقديم للمال على البنين مع كونهم أعز منه، وذلك لعراقته فيما أنيط به من الزينة، ولعمومه بالنسبة للأفراد والأوقات فإنه زينة لكل من الآباء والبنين فى كل وقت، ولأنه زينة بدون الأولاد من غير عكس...»^(٢).

ومن ذلك قوله تعالى:

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْقِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمُنَاقِبِ » آل عمران ١٤

فصياغة الفعل للمجهول هنا تشير الى أن تركيب الناس الفطرى قد تضمن هذا الميل فهو محبب ومزين... ويمتاز الاسلام هنا بمراعاته للفطرة البشرية والقبول بواقعها ومحاولة تهذيب هذه الفطرة لا كبثها...^(٣).

وهنا نجد أن الآيات لم تذكر الأموال بأنواعها إلا واقرن بذلك تذكير بالآخرة وما عند الله من فضل وبيان أن المال سبب للفتنة.

(٢) روح المعانى للأوسى ج٥ ص ٢٨٦.

(٣) فى ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص ٣٧٣، ٣٧٤ ومن الآيات التى قررت وجود هذا الميل فى النفس البشرية قوله تعالى «وتحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا» الفجر ٢٠ ك

٢ (المال لله والانسان مستخلف فيه:

هذه حقيقة قائمة أكد عليها القرآن مراراً وتكراراً بأساليب متعددة، مستجدة يؤكد أن لله ملك السماوات والأرض وله ميراث السماوات والأرض وهو المتصرف الرازق المغنى .. بل لقد صرح بأن المال لله في قوله عز وجل:

«وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الصَّكَبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا يَكْرِهُوا فَسَبِّحُوا عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا لِّبَنَاتِكُمْ وَعَرَّضُوا لِحَبُوطِ الدُّنْيَا وَمَن يَكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَنَّ عَلَيْكُمُ هُنَّ حَفَافٌ رَّحِيمٌ» «النور ٣٣م

فإضافة المال هنا الى الله فيه حث على اعطاء (المكاتيب) منه لأنه إذا علم أنه سيزول هذا المال من يده ويؤول إلى مالكة الأصلى فالتحقق له أن ينفق هذا المال .. وإذا كان المالك الأصلى للمال هو الله فما دور الانسان اذن ؟ إنه دور الاستخلاف فهو خليفة ووكيل في هذا المال ، ومن شرط المستخلف والوكيل أن ينفذ أمر من استخلفه ووكله في هذا المال ... قال تعالى:

«ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ» «الحديد ٧ م

٣ (تسخير ما في الكون للانسان:

ولكى يتحقق استخلاف الله للانسان فقد سخر له جميع ما في الكون ليقوم بعمارة الأرض مادياً وروحياً... قال تعالى:

«وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»

الجاثية ١٣ك

فيأتي التوجيه الالهي الى التفكير في ذلك للوصول الى حقيقة التوحيد وشكر ذلك المسخر العظيم...

وآيات أخر تبين لنا ذلك التسخير تفصيلاً يقول تعالى:
«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٢﴾ وَاتَّكُم مِّن كُلِّ مَاسٍ لِّتُؤْكُوا وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٣﴾» ابراهيم الآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ك

فإنزال الماء من السماء نعمة كبرى تتحقق بها الحياة للإنسان والحيوان والزرع، فسخر الله الأرض وأودع فيها قوة الانبات ثم أنزل الماء ليحيا به الزرع فأخرج به أنواعاً كثيرة من الثمرات التي يعتمد عليها الانسان والحيوان في معيشته.

ثم أشار الى تسخير الفلك والسفن في البحر أو بعبارة أخرى تسخير البحر لتجري فيه السفن ولو أننا تمعنا في تلك النعمة وما تعود به من منفعة اقتصادية، لوجدنا أنها تحتوي على خير كثير. خصوصاً في عصرنا الحاضر حيث تعتمد التجارة وحركة النقل اعتماداً كبيراً على الناقلات البحرية وتسخير الانهار فيه منافع زراعية وصناعية حيث تستخدم مياه الأنهار في توليد الطاقة الكهربائية ..

وتسخير الشمس والقمر فالشمس هي اصل الطاقة الحرارية فلا بد منها لحياة الانسان حيث ثبت أن في التعرض لأشعتها مناعة من الاصابة بالكساح وغيره من الأمراض... وكذلك لا بد منها للنبات حيث تدخل في عملية التمثيل الضوئي الذي ينتج عنه نمو النبات .. وأيضاً تسخير الليل والنهار، فالليل سبات يرتاح الناس فيه والنهار معاش يتحركون فيه..

(٤) تلقى الحلّ والحرمة عن الله في هذا الباب:

إن مراقبة الله يجب أن تشمل جميع الجوانب سواء الجانب الاقتصادى أو السياسى أو الاجتماعى... فيجب أن يسير الانسان فى الجانب الاقتصادى على وفق الخط الذى رسمه له ربه فى هذا المجال، فيطلب ما أحله الله له، ويترك المحرمات، قال تعالى فى معرض الإنكار على من يحلّ ويحرّم فى الأرزاق بمجرد هواه من غير اذن من الله:

”قُلْ رَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهُ عَلَى اللَّهِ تَفَتُّونَ“

يونس ٥٩ ك

(٥) الانفاق الشرعى:

لقد وضع الاسلام ميزاناً لضبط الانفاق.. قال تعالى فى معرض بيان صفات عباد الرحمن: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» الفرقان ٦٧ ك.

فأدب الشرع ألا يفرط الانسان حتى يضيع حقاً آخر أو عيلاً ونحو هذا، وألا يضيق أيضاً ويقتر حتى يبيع العيال ويفرط فى الشح، والحسن فى ذلك هو القوام أى العدل^(٤).

فالانسان ليس حراً فى انفاق أمواله كما يشاء كما فى النظام الرأسمالى، وانما هو مقيد بالتوسط بين الاسراف والبخل فالاسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والبخل مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه وعن انتفاع الجماعة...^(٥)

والانفاق الشرعى له ثلاثة مصارف:

أ) الانفاق على النفس قال تعالى:

”وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا“ الاسراء ٢٩ ك

(٤) القرطبى ج ١٣ ص ٧٣.

(٥) فى هلال القرآن لسيد قطب ج ٥ ص ٢٥٧٩

ب) الانفاق على الأسرة قال تعالى :

« يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآفِرِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ » البقرة ٢١٥ م

ج) الانفاق في مصالح الجماعة. قال تعالى:

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ جَذَةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ
جَذَةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »

٦) وجوب تداول الثروات وعدم انحصارها في أيدي معينة:

هذه قاعدة عظيمة من القواعد التي يقوم عليها الاقتصاد الاسلامي وهي ألا يكون
المال محصوراً في أيدي الأغنياء فقط، ولذلك نجده قد وضع تشريعات تعمل على عدم
وجود هذه الظاهرة في المجتمع الاسلامي فشرع الزكاة في الأموال وجعل الفئ كله
للفقراء وذوى الحاجة، وجعل في المال حقاً سوى الزكاة وحرم الاحتكار والربا.. وهما
الوسيلتان لجعل المال دولة بين الأغنياء...^(٦).

قال تعالى:

« مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ
كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » الحشر ٧ م.

(٦) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٦ ص ٣٥٢٤

٧) سُنَّةُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْأَرْزَاقِ:

إن الله جل وعلا حينما يغرس في نفوس المؤمنين الايمان بهذه الحقيقة حقيقة التفاوت بين الأرزاق فإنه بذلك يأمن من الثورة النفسية بقطع الحجة امام ذوى النفوس المريضة الذين يتأثرون بتفاوت الأرزاق بين البشر، وإن من أسباب قيام الشيوعية هو عدم الايمان بهذه الحقيقة المهمة .. قال تعالى:

«قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» سبأ ٣٩ ك

ورزق المعاش في الحياة الدنيا يتفاوت بمحض القدر الالهى أو تبعاً لتفاوت المواهب الانسانية مثل الذكاء، والقدرة على العمل، والبراعة الفطرية في بعض الصناعات وهذه أيضاً مواهب إلهية ... قال تعالى:

«أَمْ يَرَوْنَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَمَّا نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْطَانًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» الزخرف ٣٢ ك.

وهذا التفاوت إنما هو من أجل أن يسخر الناس بعضهم بعضاً، ولا يقصد بالتسخير هنا الاستعلاء، استعلاء فرد على فرد أو طبقة على طبقة.. بل أن كل البشر مسخر بعضهم لبعض^(٧) ... كما قال الشاعر

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدَم

(٧) المرجع السابق ج ٥ ص ٣١٨٦.

« الموارد الاقتصادية فى ضوء القرآن »

أولا : الموارد الطبيعية

أ - الأرض الزراعية

لقد سخر الله الأرض للبشر، وأودع فيها قوة الانبات، وأمرهم بعمارة هذه الأرض وزراعتها، وتحويل الأرض الجرداء الى بساتين وارفة الظلال عن طريق إصلاح الأراضى وتنظيم ريها ... قال تعالى:

«وَأَيُّكُمْ أَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَيَأْكُلُونَ ﴿٣٥﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا حَبًّا
مِنْ تَخِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٦﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ»

يسن الآيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ك .

ب - المياه :

إن عنصر الماء لا بد منه لوجود الحياة على الأرض، سواء حياة الانسان أو الحيوان أو النبات وسواء فى المجالات الزراعية أو الصناعية ... ولذلك نجد القرآن الكريم فى مواضع كثيرة يذكرنا بهذه النعمة وأثارها قال تعالى:

«أَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَئْتِيهِ
فَجْرَانَهُ مَضْضًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ» الزمر ٢١ ك

ج - الجبال:

إن أهمية الجبال من كونها مثبتة للأرض ورواسي تمنع من ميد الأرض واضطرابها، ولها أهمية من الناحية الزراعية حيث يمكن حفظ المياه في الأودية بين الجبال، ولها تأثيرها على المناخ والرياح .. ومن ناحية الصناعة فيها طاقات هائلة من المعادن المختلفة . قال تعالى «**أَلَمْ نَزَلْكَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخَرَجْنَا بِهِ حَرَارٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**» ﴿٣٥﴾ فاطر ٢٧ ك.

والجدد: جمع جُدة وهي الطرائق المختلفة الألوان وإن كان الجميع حجراً وتراباً .

والغرابيب: الغريب الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير والمعنى ومن الجبال سود غرابيب .. (٨).

د) معادن الأرض:

لقد أودع الله الأرض كنوزاً متعددة من أنواع المعادن الصلبة والسائلة .. وهذه الكنوز تحتاج الى جهود من أجل الانتفاع بها قال تعالى: «**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ**» الحديد ٢٥ م .

هـ) الأنعام :

هذه الثروة الضخمة التي تعتمد عليها شعوب بأكملها في اكتساب معيشتها، وكيف لا تعتمد عليها ومنها الغذاء والكساء وأداة الانتقال، ومنها الجمال والزينة .. إنها لتفي

(٨) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

بمتطلبات الحياة الكاملة ولا يستطيع الانسان الاستغناء عنها مهما كان حظه من الحضارة والصناعة إذ لا بديل عن اللبن ومشتقاته، ولا غنى عن لحومها، وأصوافها، وأشعارها وجلودها وما أروع تلك الآيات التى تحدثنا عن هذه النعم العظمى حيث يقول الحق جل وعلا:

«وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٢﴾ وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بَشِقِ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوُفٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ وَاتَّخِذُوا لِبَاسَ الْغَلِيلِ وَأَلْبَسُوا لِبَاسَ الْحَرِّ وَلَا تَجْعَلُوا لِبَاسِكُمْ لِبَاسًا مِّنَ الْبَاطِلِ ﴿٤﴾» الآيات ٥، ٦، ٧، ٨ ك .

إن رجال الاقتصاد ليقفون مبهورين أمام هذه الآيات التى أوضحت الجدوى الاقتصادية من الانعام، بل إنها ذهبت إلى أكثر من ذلك فأشارت الى الجدوى النفسية منها حيث أن فيها تلبية لحاسة الجمال فى الزينة ..

ثانياً: الجهود البشرية «العمل»

إن الموارد الطبيعية الآتفة الذكر لا يتحقق الانتفاع منها إلا ببذل الجهود الكبيرة سواء الجهود البدنية أو الجهود الفكرية .. فيجب أن يتحرك الانسان ويعمل من أجل عمارة الأرض، والاستفادة من تلك الموارد..

ومن هنا نظر الإسلام الى العمل باعتباره أساساً تقوم عليه أمور الدنيا والآخرة، فحث على العمل ووجهه توجيهها الهيا .. فالعمل إذا قصد به وجه الله كان فيه خير الدنيا والآخرة قال تعالى: «وَمَّا خُرُوجُكُمْ فِي الْأَرْضِ يَسْتَعِينُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...» المزمّل ٢٠ ك فأثنى على الذين يضربون فى الأرض ابتغاء الرزق وسماه «فضل الله» وفى هذا تكريم للسعى الحلال والكسب الطيب الذى يبذل فيه صاحبه جهدا يجعله بالنية الصالحة يعدل الجهاد فى سبيل الله ولذلك جاء بعد ذلك مباشرة

«وَمَّا خُرُوجُكُمْ يَسْتَعِينُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .

وقال تعالى:

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»

الملك ١٥ ك .

فاذن لابد من السعى المتواصل في هذه الأرض المذللة حتى تتم الفائدة من هذا التسخير.

« توزيع الثروة في ضوء القرآن »

لقد اخترت نظامى الأثر والفى ليكونا مثالين يتبين فيهما العدالة الالهية في توزيع الثروة سواء الثروة الخاصة التى يبينها نظام الارث. أو الثروة العامة التى يبينها نظام الفى ..

فأولاً: الارث

هذا النظام الربانى المتجاوب مع الفطرة البشرية المحقق للتوازن الاجتماعى فالانسان إذا تيقن بأن ماله سيؤول من بعده الى أقرب المقربين إليه فإن ذلك سيدفعه إلى العمل والنشاط وعدم الاسراف والتبذير، لأنه ضمن أن جهده لن يضيع سدى ... ومن ثم يودى هذا الى تقوية العلاقة بين أفراد الأسرة وإيجاد روح التكافل فيما بينهم قال تعالى:

« لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا » النساء ٧ م.

ولقد ثار من يزعمون أنفسهم أنصاراً للمرأة على هذا النظام الذى لا يساوى المرأة بالرجل حيث يقول الحق جلّ وعلا:

« يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِيَ أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِنْ حَظِّ الْإِنثِيَيْنِ » النساء ١١ م
ويقال لهؤلاء إن قولكم هذا تعميم خاطى فليست المرأة على النصف من الرجل على العموم، بل إنها تكون كذلك إذا تساوت معه فى القرابة والدرجة كالابن والبنت والأخ والأخت.. أما إذا لم تتساو معه فى القرابة فقد تأخذ أكثر منه وقد يأخذ أكثر منها حسب

نوع القرابة، وكذلك إذا لم تتساو معه في درجة القرابة والدرجة، ليس فيه محاباة نوع على نوع.. وإنما هو توازن وعدل بين أعباء الذكر وأعباء الأنثى في النظام العائلي فالرجل مكلف بإعالة المرأة.. أما هي فإما أن تقوم بنفسها فقط ، وإما أن يقوم بها الرجل في أغلب الحالات.

ثانياً : الفى

الفى هو كل مال أخذ من الكفار الحربيين من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب .. (٩)

قال تعالى:

«وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُجِفَّتْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» الحشر ٢٦.

وقد جعل أمر هذا الفى الى الامام ينفقه في مصالح المسلمين ويعطى منه من يستحق كالفقراء والمساكين واليتامى وابن السبيل وقرابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالامام هو الذى يضع الفى في مصارفه مما فيه مصلحة المسلمين أو مصلحة بعض الفئات منهم واضعاً أمام عينيه ذلك التعليل الالهى «كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» ..

فالإسلام يهدف الى إيجاد التوازن في المجتمع فلا وجود لطبقة تحوز المال وتتداوله بينها والباقون ليس عندهم شئ يتداولونه، قال تعالى:

«وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ

(٩) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج ٣ ص ٤٧٢.

كَذَلِكَ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ « الحشر ٧م.

ونجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نفذ هذا المبدأ فأعطى المهاجرين من في
بنى النضير ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا أفراداً قليلين لفقهم .. (١٠).

(١٠) روح المعاني للألوسي ج ٢٨ ص ٤٥.

مراجع البحث

- (١) القرآن الكريم
- (٢) الاقتصاد في ضوء الشريعة ، تأليف محمود بابلي.
- (٣) إقتصادنا ، تأليف محمد باقر الصدر.
- (٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- (٥) روح المعاني للألوسي.
- (٦) العدل الاجماعي تأليف عماد الدين خليل
- (٧) في ظلال القرآن لسيد قطب.
- (٨) معالم في الثقافة الاسلامية تأليف عبدالكريم عثمان.
- (٩) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني.

ثانيا

اللغويات

,

اللغويات

